Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

الفجوات البحثية نقطة أنطلاق البحوث العلمية

أ.د. صفاء طارق حبيب
جامعة بغداد / كلية التربية إبن رشد للعلوم الإنسانية
safa.tairq@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
أ.د. فاتن خيري محمد سعيد
جامعة بغداد / كلية التربية إبن رشد للعلوم الإنسانية
faten.khairy@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
أ.د. بلقيس حمود كاظم
جامعة بغداد / كلية التربية إبن رشد للعلوم الإنسانية
balqees.hmood@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص :
تُعدّ الفجوة البحثية من أكثر المفاهيم أهمية وحيوية في منظومة البحث العلمي، إذ تمثل نقطة الانطلاق الحقيقية لأي دراسة أكاديمية رصينة. وتشير الفجوة البحثية في جوهرها إلى ذلك النقص أو الغياب في المعرفة العلمية المتراكمة حول موضوع معين أو في مجال بحثي بعينه ، وهو نقص يستدعي التوقف والتأمل والتساؤل النقدي البنّاء. ولعل أبرز ما يميز الباحث المتمرس عن المبتدئ هو قدرته على استشعار هذا النقص وتحديده بدقة، ثم توظيفه توظيفاً منهجياً في بناء مشروعه البحثي ، وتهدف هذه الورقة العلمية إلى استعراض مفهوم الفجوة البحثية بشكل معمّق وشامل، مع التركيز على أهميتها في توجيه البحث العلمي، وكيفية تحديدها، وأنواعها المتعددة، والأساليب المنهجية التي يمكن للباحثين اعتمادها للتعامل معها ، وتنتهج الورقة منهجاً تحليلياً نقدياً يستند إلى الأدبيات العلمية الحديثة في مجالَي علم النفس والتربية والمنهجية البحثية.
الكلمات المفتاحية: الفجوة البحثية، المنهجية البحثية، مراجعة الأدبيات، البحث العلمي، النظرية والتطبيق .

Abstract :
The research gap is one of the most vital concepts in scientific research, representing the true starting point for any rigorous academic study. At its core, a research gap refers to a deficiency or absence in accumulated scientific knowledge about a specific topic or field—a deficiency that demands pause, reflection, and constructive critical inquiry. Perhaps the most distinguishing characteristic of an experienced researcher compared to a novice is the ability to sense this deficiency, define it precisely, and then deploy it methodologically in constructing a research project. This paper aims to provide an in-depth and comprehensive review of the concept of the research gap, with emphasis on its importance in guiding scientific research, how to identify it, its various types, and the methodological approaches researchers can adopt to address it. The paper adopts a critical analytical approach grounded in modern scientific literature in the fields of psychology, education, and research methodology.
Keywords: Research gap, Research methodology, Literature review, Scientific research, Theory and practice.

أولاً: المقدمة :

منذ فجر الحضارة الإنسانية، كان الإنسان يدفعه فضول فطري لا يهدأ نحو فهم ما يحيط به من ظواهر غامضة ومسائل معقدة. هذا الفضول لم يكن مجرد شعور عابر، بل تحوّل مع الوقت إلى منظومة متكاملة من الأدوات والمناهج والأساليب التي نسميها اليوم بـ"البحث العلمي". وفي قلب هذه المنظومة، تقبع ظاهرة بالغة الأهمية وبالغة التأثير في مسار المعرفة الإنسانية، وهي ما باتت تُعرف في الأوساط الأكاديمية بـ"الفجوة البحثية". فالفجوة البحثية ليست مجرد مصطلح تقني يُستخدم في فصول الدراسات العليا أو في افتتاحيات الأوراق البحثية، بل هي في حقيقتها الروح التي تُحرّك عجلة العلم وتدفعها إلى الأمام.

فعندما يجلس الباحث أمام مكتبته الرقمية أو يتصفح قواعد البيانات الأكاديمية كـ"سكوبس" Scopus و"ويب أوف ساينس" Web of Sciences ليس يبحث عما هو موجود فحسب، بل هو في جوهره يبحث عمّا هو غائب، عمّا لم يُقَل، عمّا لم يُدرَس، عمّا لم يُفهَم بعد. هذا الغائب، هذا الفراغ المعرفي، هو الفجوة البحثية بعينها ، وقد أولت الأدبيات العلمية الحديثة هذا المفهوم اهتماماً متزايداً، خاصة في ظل التطور المتسارع للمعرفة الإنسانية في مختلف التخصصات العلمية والإنسانية والاجتماعية.(Creswell & Creswell, 2018)

وفي مجال علم النفس تحديداً، الذي يمثل التخصص الرئيس لهذه الورقة البحثية ، تبرز الفجوات البحثية بشكل لافت ومؤثر، فعلم النفس علم حيٌّ متجدد ويتعامل مع أعقد الظواهر الإنسانية وأكثرها تشابكاً ، من السلوك والتفكير والمشاعر إلى العلاقات الاجتماعية والاضطرابات النفسية والتطور المعرفي ، وفي مثل هذه البيئة البحثية الخصبة والمعقدة في آنٍ معاً، تتكاثر الفجوات المعرفية وتتنوع، مما يجعل مهمة الباحث النفسي أمراً يقتضي دقة ومهارة منهجية عالية (Kazdin, 2017).

ومن هذا المنطلق، ولتسلط الضوء على مفهوم الفجوة البحثية من زوايا متعددة ومتكاملة. فهي لا تكتفي بتعريف المفهوم وشرحه، بل تتعمق في استجلاء أهميته ووظيفته في توجيه البحث العلمي، وتستعرض الأنواع المختلفة للفجوات البحثية مع أمثلة تطبيقية من مجالي علم النفس والعلوم الاجتماعية، وتقدم أساليب منهجية عملية للتعامل مع كل نوع ، كما تتناول التحديات التي يواجهها الباحثون في رحلة تحديد الفجوات البحثية، وتقترح حلولاً وآليات للتغلب على هذه التحديات. وختاماً، تستخلص الورقة جملة من التوصيات العملية التي تُعين الباحثين على توظيف الفجوة البحثية توظيفاً أمثل في مشاريعهم البحثية.

ثانياً: مفهوم الفجوة البحثية وتطوره التاريخي :

أ. التعريف المفاهيمي للفجوة البحثية :

إن تعريف الفجوة البحثية تعريفاً دقيقاً ومستوعباً لكافة أبعادها ليس بالأمر اليسير، إذ تتعدد التعريفات بتعدد المداخل والمرجعيات النظرية التي ينطلق منها العلماء. غير أن ثمة قاسماً مشتركاً بين معظم هذه التعريفات، وهو أن الفجوة البحثية تشير بشكل أساسي إلى ذلك النقص أو الغياب في المعرفة حول موضوع معين أو في مجال بحثي بعينه ، فقد عرّفها بعض الباحثين بأنها "المجال الذي لا تزال فيه المعرفة العلمية غير مكتملة أو متناقضة أو غائبة كلياً " (Bryman, 2016)وهذا التعريف، وإن كان بسيطاً في صياغته، إلا أنه يحمل في طياته دلالات عميقة؛ فعدم الاكتمال يشير إلى أن ما أنجزه السابقون مهم ولكنه لم يُغطِّ كل الجوانب، وأن التناقض يشير إلى وجود صراع بين النتائج يستوجب الفصل والتحقيق، وأن الغياب الكلي يشير إلى أرض بكر لم تطأها قدم باحث بعد.

ويمكن النظر إلى الفجوة البحثية من منظور أوسع، باعتبارها "مسافة الفصل بين ما هو معروف وما يجب أن يُعرَف لتحقيق فهم كامل لظاهرة ما (Creswell & Creswell, 2018) "وهذا المنظور يضع الفجوة في سياق ديناميكي، أي أنها ليست ثابتة أو جامدة، بل تتحرك وتتطور مع تراكم المعرفة وتطور المجتمعات والتقنيات. فما كان فجوة بحثية في عقد من الزمن قد تنسد ويملؤها الباحثون في العقد التالي، لتظهر فجوات جديدة أكثر تعقيداً وأعمق في طبيعتها (Neuman, 2014).

وفي سياق علم النفس تحديداً، يرى كثير من العلماء أن الفجوة البحثية تمثل الهوة بين ما تصفه النظريات النفسية وما يُلاحَظ فعلاً في السلوك الإنساني الحقيقي، فكثيراً ما تُطوَّر نظريات في بيئات معملية محكمة ثم يُحاوَل تعميمها على السياقات الحياتية المعقدة، وهنا تنشأ الفجوات بين ما تتنبأ به النظرية وما يقع فعلاً في الواقع (Kazdin, 2017) . وهذه

الهوة بين النظرية والتطبيق هي أحد أخصب أنواع الفجوات البحثية في علم النفس، وأكثرها حضوراً في المشاريع البحثية الكبرى.

ب. التطور التاريخي لمفهوم الفجوة البحثية :

إن النظر في تاريخ العلم يُظهر لنا بوضوح أن الفجوات البحثية كانت دائماً محركاً رئيسياً للتقدم العلمي، حتى قبل أن تُستخدم هذه التسمية رسمياً ، ففي فجر الفلسفة اليونانية كان سقراط يُحدد "فجوات" في تفكير محاوريه ويتساءل بشكل نقدي عن أسس معرفتهم ومفاهيمهم ، وكان أرسطو يُلاحظ غياب التفسيرات الكافية لكثير من الظواهر الطبيعية ، فيسعى إلى سدّها من خلال الملاحظة المنظمة ، وكذلك كان العلماء العرب في عصر الازدهار الإسلامي، كابن الهيثم وابن سينا والرازي وغيرهم، يُحددون مناطق القصور والنقص في المعرفة السائدة ثم يسعون إلى سدّها من خلال التجريب والاستدلال (عبد الرحمن، 2015).

ومع ظهور المنهج العلمي الحديث في القرن السابع عشر على يد (فرانسيس بيكون وغاليليو وديكارت وغيرهم) ، بدأ مفهوم الفجوة البحثية يأخذ طابعاً أكثر منهجية وتنظيماً ، فقد أدرك هؤلاء أن تقدم العلم يستلزم أولاً تحديد ما لا نعرفه بدقة، ثم وضع خطط منهجية لاستكشافه وفهمه ، وقد تجلى هذا الوعي بشكل واضح في تطور أسلوب مراجعة الأدبيات كأداة أساسية في البحث العلمي، إذ تُوظَّف مراجعة الأدبيات تحديداً لاستخلاص ما هو موجود من معرفة وتحديد ما يغيب عنها(Hart, 2018) .

وفي القرن العشرين، ومع التطور الهائل في عدد الدوريات العلمية والمؤتمرات الأكاديمية وقواعد البيانات البحثية، بات من الضروري على الباحثين إتقان فن تحديد الفجوات البحثية كشرط أساسي لنشر أبحاثهم في المجلات المحكّمة ، فالمحررون والمحكّمون باتوا يطالبون صراحةً بأن يُبيّن الباحث الفجوة المعرفية التي يسعى بحثه إلى سدّها (Creswell & Creswell, 2018). وهكذا انتقلت الفجوة البحثية من مجرد ملاحظة عابرة في مقدمة البحث إلى ركيزة منهجية أساسية لا يقوم البحث العلمي الجاد بدونها.

ثالثاً: أهمية الفجوة البحثية في منظومة البحث العلمي :

تتعدد وجوه الأهمية التي تكتسيها الفجوة البحثية في منظومة البحث العلمي، وتتشابك هذه الوجوه وتتكامل فيما بينها لتشكل صورة متكاملة عن الدور المحوري الذي تلعبه هذه الفجوات في دفع عجلة المعرفة إلى الأمام. وفيما يلي عرض مفصّل ومعمّق لأبرز هذه الأبعاد.

أ. توجيه البحث نحو آفاق جديدة : ربما كانت الوظيفة الأولى والأكثر وضوحاً للفجوة البحثية هي وظيفتها التوجيهية ، فعندما يُحدد الباحث فجوة معرفية بعينها، فإنه في الوقت ذاته يرسم لنفسه ولبحثه خارطة طريق واضحة المعالم، وتُحدد له ما ينبغي دراسته، وما ينبغي تجنبه أو تأجيله، وما ينبغي التعمق فيه ، وهذا التوجيه لا يقتصر أثره على الباحث الواحد، بل يمتد ليشمل مجتمع الباحثين في تخصص ما، حيث تُسهم تراكمية الفجوات المُحدَّدة في رسم خريطة بحثية شاملة للمجال كله(Neuman, 2014) .

ولعل المثال الأوضح على ذلك في مجال علم النفس هو الثورة المعرفية التي شهدها الحقل في النصف الثاني من القرن العشرين ، فقد لاحظ عدد من الباحثين وجود فجوة هائلة في الأدبيات النفسية ، تمثلت في شُح الدراسات التي تتناول العمليات الذهنية الداخلية كالتفكير والتذكر وحل المشكلات، في مقابل التركيز المبالغ فيه على السلوك الخارجي الملاحظ في إطار المدرسة السلوكية ، فكانت هذه الفجوة هي التي وجّهت الباحثين نحو الاهتمام بالبنى الذهنية الداخلية، مما أفضى إلى نشأة علم النفس المعرفي كمدرسة مستقلة ومؤثرة(Miller, 2003) .

وفي علم النفس العيادي والإرشادي، تُلاحَظ الوظيفة التوجيهية للفجوة البحثية بشكل بارز في تطور الأساليب العلاجية ، فلو أن الباحثين لم يُلاحظوا الفجوة المتمثلة في محدودية فاعلية الأساليب العلاجية التقليدية مع بعض الاضطرابات كاضطراب ما بعد الصدمة، لما انبثقت أساليب علاجية مبتكرة كالعلاج بإعادة المعالجة وإزالة التحسس عبر حركات العين (EMDR) أو العلاج المعرفي القائم على اليقظة الذهنية(Shapiro, 2018) (MBCT) .

ب. المساهمة في الابتكار العلمي والإبداع المعرفي :

إن الابتكار في جوهره ليس سوى الاستجابة الخلاقة للفجوات والنقائص ، وهذا يصح على كل ضروب الإبداع الإنساني، من الفن والأدب إلى العلم والتقنية. فالعالم الذي يُدرك فجوة في معرفته أو في معرفة مجاله يجد نفسه أمام تحدٍّ

فكري يستنهض كل طاقاته الإبداعية. وفي هذا المعنى، وتمثل الفجوة البحثية ليس مجرد نقص يجب سدّه ، بل هي دعوة صريحة للإبداع والابتكار، دعوة لإيجاد طرق جديدة في التفكير والبحث والتفسير (Creswell & Creswell, 2018).

وقد أثبت التاريخ العلمي مراراً وتكراراً أن أعظم الاكتشافات والنظريات العلمية إنما وُلدت من رحم الفجوات المعرفية ، فنظرية التطور لداروين جاءت استجابةً لفجوة في تفسير التنوع البيولوجي، ونظرية النسبية لأينشتاين جاءت لسد فجوة في تفسير بعض الظواهر الفيزيائية التي عجزت فيزياء نيوتن عن تفسيرها، وفي علم النفس، كانت نظرية اللاوعي لفرويد، على ما شابها من إشكاليات منهجية، محاولةً لسدّ فجوة في تفسير السلوك الإنساني الغامض والمتناقض في أحيان كثيرة(Gay, 2006) .

وفي السياق الأكاديمي المعاصر، يُلاحَظ أن الأبحاث التي تنطلق من فجوات بحثية واضحة ومُحددة تميل إلى تقديم إسهامات أكثر ابتكاراً وأعمق أثراً في مجالاتها مقارنة بتلك التي تنطلق من مجرد اهتمام عام بموضوع ما. فالفجوة تفرض على الباحث ضرورة التفكير خارج الأطر المألوفة، وتجريب مقاربات جديدة، وطرح أسئلة لم يطرحها أحد من قبل وهذا بالضبط هو لبّ الابتكار العلمي(Bryman, 2016) .

ج. بناء قاعدة معرفية تراكمية ومتكاملة :

يعد العلم في طبيعته تراكمي؛ فكل اكتشاف جديد يُضاف إلى ما سبقه، وكل نظرية جديدة تُبنى على أكتاف ما قبلها، وهذا التراكم المعرفي لا يتحقق من تلقاء نفسه، بل يتطلب وعياً منهجياً متواصلاً بالفجوات الموجودة في الجسد المعرفي لكل تخصص، فحين يقوم الباحثون بتحديد الفجوات وسدّها، فإنهم في الوقت ذاته يُضيفون لبنات جديدة إلى صرح المعرفة، ويصلون ما انقطع من خيوطها، ويُقوّون ما ضعف من أسسها(Hart, 2018) .

ويمكن أن تؤدي مراجعات الأدبيات المنهجية (Systematic Reviews) ومراجعات التحليل المضاعف (Meta-Analyses) دوراً محورياً في الكشف عن الفجوات المعرفية وفي المساهمة في بناء القاعدة المعرفية التراكمية ، فهذه المراجعات لا تقتصر على جمع نتائج الدراسات السابقة وتلخيصها، بل تُحلل هذه النتائج وتُقيّمها وتكشف عن مواطن التوافق والتعارض فيها، مما يُسهم في رسم صورة أوضح للفجوات المتبقية .(Borenstein et al., 2009) وفي علم النفس، أدت مراجعات كوكرين (Cochrane Reviews) دوراً كبيراً في تحديد الفجوات في أدلة فاعلية التدخلات النفسية، مما وجّه جهود البحث العلمي نحو ملء هذه الفجوات.

د. تعزيز جودة البحث ومصداقيته:

فعندما ينطلق الباحث من فجوة بحثية محددة وواضحة، فإن ذلك يُضفي على بحثه جملة من الصفات التي تعزز جودته ومصداقيته. **فأولاً**: يُصبح للبحث مبرر وجودي واضح؛ فهو لا يُعيد اجترار ما قيل من قبل، بل يضيف إلى المعرفة ما لم يكن فيها. **وثانياً:** يُصبح التصميم البحثي أكثر دقة وتركيزاً، إذ أن وضوح الفجوة المراد سدّها يُساعد الباحث على صياغة أسئلة بحثية محددة وفرضيات قابلة للاختبار. **وثالثاً:** يُصبح تفسير النتائج أكثر عمقاً وثراءً، إذ يمكن وضعها في سياق الفجوة المعرفية التي جاءت الدراسة لسدّها(Creswell & Creswell, 2018) ، وفي المجلات العلمية المحكّمة الرفيعة المستوى، يُشكّل وضوح الفجوة البحثية وقدرة الباحث على تأطيرها ومعالجتها أحد أهم معايير قبول الأوراق البحثية للنشر ، فالمحكّمون ينظرون بعين ناقدة إلى مدى إسهام البحث في المعرفة القائمة، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان البحث قد انطلق من فجوة حقيقية ومُحددة بدقة (APA, 2020) ، وهذا يعني أن إتقان تحديد الفجوة البحثية وتأطيرها ليس مجرد مسألة منهجية أكاديمية، بل هو شرط ضروري للحضور في الفضاء العلمي الدولي.

ه. أستقطاب التمويل وجذب الشراكات البحثية :

لا يقتصر أثر الفجوة البحثية على الجانب المعرفي والمنهجي، بل يمتد ليشمل الجانب الاقتصادي والمؤسسي للبحث العلمي. فالجهات الممولة للبحث العلمي، سواء أكانت حكومية أم خاصة أم دولية، تُقدّم على تمويل المشاريع التي تُعالج فجوات معرفية حقيقية وذات أثر مُتوقّع على مجالاتها. فمن الناحية العملية، يعني ذلك أن الباحث الذي يُحسن تحديد

الفجوة البحثية لمشروعه وتأطيرها بوضوح يُعزز فرصه في استقطاب التمويل اللازم لإجراء بحثه (Locke et al., 2014).

وقد أشارت دراسات عدة إلى أن اقتراحات البحث (Research Proposals) التي تتضمن تحديداً دقيقاً للفجوة البحثية وتبريراً واضحاً للحاجة إلى سدّها تحصل على تقييمات أعلى من قِبَل لجان تقييم المنح البحثية مقارنة بتلك الاقتراحات التي تكتفي بالإشارة إلى أهمية الموضوع بشكل عام (Creswell & Creswell, 2018). وهذا يؤكد أن مفهوم الفجوة البحثية ليس مجرد أداة منهجية، بل هو في الوقت ذاته أداة تواصلية فاعلة تُتيح للباحث إقناع الآخرين بأهمية مشروعه وجدارته بالدعم.

رابعاً: كيفية تحديد الفجوات البحثية :

إن تحديد الفجوة البحثية ليس عملية ميكانيكية أو آلية، بل هي عملية تتطلب درجة عالية من الكفاءة المنهجية والعمق المعرفي والقدرة التحليلية النقدية ، وفيما يلي استعراض مفصّل للطرق والأساليب الأكثر فاعلية في تحديد الفجوات البحثية، مع التركيز على كيفية توظيفها في مجالي علم النفس والعلوم الاجتماعية.

أ. مراجعة الأدبيات المنهجية والشاملة: تُعدّ مراجعة الأدبيات العلمية الأداة الأكثر أهمية وشيوعاً في تحديد الفجوات البحثية، وهي في الوقت ذاته الأكثر تطلباً من حيث الوقت والجهد والمهارة ، فمراجعة الأدبيات ليست مجرد قراءة لعدد من الدراسات وتلخيص نتائجها، بل هي عملية تحليلية نقدية منهجية تستهدف إعادة تركيب الصورة الكاملة للمعرفة المتوفرة في مجال معين، بما يُمكّن من الكشف عن النقاط العمياء والفراغات المعرفية فيها(Hart, 2018) .

ولإجراء مراجعة أدبيات فاعلة بهدف تحديد الفجوات البحثية، يحتاج الباحث إلى اتباع خطوات منهجية محددة. تبدأ هذه الخطوات بتحديد الكلمات المفتاحية المناسبة والمصادر البيانية المناسبة كـ "PsycINFO" و"PubMed" و "Scopus" و "Web of Science"وغيرها ، ثم تنتقل إلى مرحلة البحث المنهجي وتجميع الدراسات ذات الصلة، فتقييمها نقدياً وتصنيفها وفق معايير واضحة، وصولاً إلى تحليل النتائج وتركيبها لاستخلاص ما تُجمع عليه الأدبيات وما تتعارض فيه وما تُغفله كلياً(Bryman, 2016) .

وتبرز أهمية إتقان الباحث لعدد من المهارات التحليلية الدقيقة، منها القدرة على قراءة الدراسات قراءة نقدية لا استهلاكية، والقدرة على الربط بين نتائج دراسات مُجراة في سياقات مختلفة، والقدرة على تمييز ما يمثل فجوة حقيقية في المعرفة عما يمثل مجرد اهتمام شخصي للباحث بموضوع ما (Neuman, 2014). وقد أشار كريسويل (Creswell, 2014)إلى أن الباحث المبتدئ كثيراً ما يقع في فخ الخلط بين غياب اهتمامه الشخصي بموضوع ما وغياب الدراسات التي تتناوله، في حين أن الحكمة المنهجية تقتضي التمييز الدقيق بين هذين الأمرين.

وعلى المستوى التطبيقي في علم النفس، فإن مراجعة الأدبيات المنهجية تستلزم الاطلاع على الدوريات المتخصصة الرئيسية في المجال، كـ "Psychological Review"و "Journal of Abnormal Psychology" و "Developmental Psychology"وغيرها، فضلاً عن الكتب والمؤلفات العلمية والتقارير المنهجية الصادرة عن المنظمات المتخصصة كالجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) كما يستلزم الاطلاع على الرسائل والأطاريح الجامعية، التي كثيراً ما تحوي مراجعات أدبيات وافية ومتأنية تُشير صراحةً إلى الفجوات المعرفية في مجالاتها(APA, 2020) .

ب. استطلاعات الرأي والمقابلات مع الخبراء : بينما تُتيح مراجعة الأدبيات الاطلاع على ما دُوّن وما نُشر في العلم من معرفة، فإن ثمة فجوات لا تظهر بوضوح في المطبوعات والأوراق البحثية، بل يمكن الوصول إليها عبر الاستماع المباشر إلى الخبراء والممارسين في الميدان ، وهنا تبرز أهمية استطلاعات الرأي والمقابلات المعمّقة كأدوات فاعلة في تحديد الفجوات البحثية(Creswell & Creswell, 2018) .

فالخبراء والممارسون الميدانيون، كالأطباء النفسيين والمعالجين النفسيين والمرشدين التربويين وعلماء النفس في المراكز البحثية، يمتلكون خبرة عملية تراكمية تُمكّنهم من الإشارة إلى الثغرات والنقائص التي يُلاحظونها في التطبيق اليومي ولا تجد انعكاساً كافياً في الأبحاث العلمية ، فمثلاً، قد يُشير معالج نفسي متمرس إلى أن الأدبيات العلمية لا تقدم

إرشادات كافية للتعامل مع مرضى يجمعون بين اضطرابات نفسية متعددة في سياق ثقافي عربي معين، وهذا بحد ذاته فجوة بحثية ذات قيمة عالية (الحموي، 2018).

ويمكن توظيف أساليب بحثية نوعية متعددة للاستفادة من خبرة هؤلاء الخبراء في تحديد الفجوات، من بينها المقابلات المعمّقة(In-depth interviews) ، ومجموعات التركيز(Focus Groups) ، وأسلوب دلفي (Delphi Technique)الذي يتضمن استطلاع آراء مجموعة من الخبراء في جولات متعددة حتى الوصول إلى توافق في الرأي (Patton, 2015).وهذه الأساليب، وإن كانت تنتمي في الأغلب إلى المنهجية النوعية، إلا أن نتائجها يمكن توظيفها لاحقاً في صياغة دراسات كمية أو مختلطة تستهدف تناول الفجوات المُحددة بالطرق النوعية.

ج. تحليل الاتجاهات الراهنة والناشئة: في عالم يتسارع فيه التطور التكنولوجي والاجتماعي والثقافي بشكل غير مسبوق، تنشأ فجوات بحثية جديدة بوتيرة متزايدة ، فالظواهر الاجتماعية والنفسية الجديدة التي يُفرزها هذا التطور كثيراً ما تسبق قدرة الأبحاث العلمية على مواكبتها وتناولها ، ولذلك فإن متابعة الاتجاهات الراهنة والناشئة في المجتمع والتكنولوجيا والعلوم تُمثل طريقاً فاعلاً لتحديد الفجوات البحثية(Bryman, 2016) .

فمثلاً، في مجال علم النفس أفرز انتشار منصات التواصل الاجتماعي ظواهر نفسية جديدة أو مُعقَّدة لم تُتَح لها الدراسة الكافية في البداية، كالإدمان الإلكتروني، والتنمر الإلكتروني، وتأثير الصورة الذاتية الرقمية على احترام الذات، والقلق الاجتماعي المرتبط بالمقارنة على منصات التواصل(Twenge et al., 2018) . وكل هذه الظواهر مثّلت فجوات بحثية واضحة في وقتها، وما زال بعضها يمثل فجوات قائمة حتى اليوم.

وعلى مستوى أدوات تحليل الاتجاهات، يمكن الاستفادة من أدوات متعددة، منها متابعة الدوريات العلمية الرائدة التي كثيراً ما تنشر مقالات استشرافية تستعرض الاتجاهات الجديدة وتُحدد مناطق الحاجة البحثية. ومنها أيضاً متابعة المؤتمرات العلمية الكبرى التي تُجرى على مستوى الجمعيات العلمية المتخصصة، حيث تُطرح المواضيع الناشئة وتُناقَش مناطق النقص المعرفي بشكل صريح ، فضلاً عن الاستفادة من أدوات رقمية كـ "Google Trends" و "ResearchGate"و "Academia.edu"التي تتيح رصد الاهتمامات البحثية الراهنة وتطورها.(Hart, 2018)

خامساً: أنواع الفجوات البحثية وأساليب معالجتها:

إن الفجوات البحثية ليست صنفاً واحداً متجانساً، بل هي أنواع متعددة ومتباينة تختلف من حيث طبيعتها ومصدرها والأساليب الأنسب لمعالجتها، وإدراك هذا التنوع يُعدّ في حد ذاته كفاءة منهجية مطلوبة في الباحث المتمرس، إذ يُمكّنه من تحديد نوع الفجوة في مجال اهتمامه بدقة، ومن ثمّ انتقاء الأسلوب البحثي الأنسب لمعالجتها، وفيما يلي عرض تفصيلي لأبرز أنواع الفجوات البحثية:

أ. الفجوات النظرية(Theoretical Gaps) : تُشير الفجوة النظرية إلى ذلك التباين أو الفصل القائم بين النظريات أو النماذج النظرية الحالية والظواهر الملاحظة في الواقع، أو بين نظريتين أو أكثر تُقدّم كل منهما تفسيراً مغايراً لذات الظاهرة ، وهذا النوع من الفجوات يُعدّ من أعمق الفجوات وأكثرها أثراً في مسار تطور المعرفة العلمية، إذ أن معالجتها تستلزم في الغالب تطوير أطر نظرية جديدة أو إعادة صياغة أطر قائمة بشكل جذري(Neuman, 2014)

وفي مجال علم النفس، تبرز الفجوات النظرية في أكثر من موضع. فمثلاً، لا تزال هناك فجوة نظرية واسعة في تفسير العلاقة بين الوعي والعمليات الدماغية العصبية؛ إذ لا تقدم النظريات الحالية تفسيراً مُرضياً ومتكاملاً لكيفية نشأة التجربة الذاتية (Subjective Experience) عن نشاط الخلايا العصبية (Chalmers, 1996) . كذلك تُوجد فجوة نظرية في مجال الشخصية، حيث تتعدد النظريات وتتنافس دون أن تتوصل إلى نموذج تفسيري شامل يستوعب تعقيدات الشخصية الإنسانية في مختلف السياقات الثقافية والبيئية(McCrae & Costa, 2003) .

وتتجلى الفجوة النظرية أيضاً في حالات عدم قدرة النظريات المطوَّرة في سياق ثقافي غربي على تفسير ظواهر في سياقات ثقافية مغايرة، كالسياق العربي الإسلامي، فكثير من النظريات النفسية الكبرى، كنظرية ماسلو في الحاجات أو نظريات الهوية والتقدير الذاتي، طُوِّرت أساساً في سياق ثقافي غربي فردياتي، وقد كشفت الأبحاث عن فجوات واضحة في قدرتها على التنبؤ والتفسير حين تُطبَّق في سياقات جماعاتية كالسياق العربي أو الآسيوي(Triandis, 1995) .

ومعالجة مثل هذه الفجوات يستلزم إجراء دراسات مقارنة عبر الثقافات، وتطوير نظريات بديلة أو مكملة تأخذ بعين الاعتبار التنوع الثقافي وأثره في الظواهر النفسية.

ب. الفجوات المنهجية(Methodological Gaps) : تنشأ الفجوات المنهجية حين تكون الأساليب البحثية المستخدمة في مجال ما غير كافية أو غير ملائمة لتناول أسئلة بحثية معينة بشكل شامل ودقيق ، فبعض الظواهر النفسية والاجتماعية تحتاج إلى أدوات قياس ومناهج دراسة لم تُطوَّر أو لم تُوظَّف بعد في مجالاتها، وقد يكون القصور المنهجي ناجماً عن سيادة منهج بحثي بعينه في مجال ما على حساب مناهج أخرى قد تُتيح رؤية أعمق وأكثر شمولاً للظاهرة المدروسة(Creswell & Creswell, 2018) .

في مجال علم النفس العيادي، مثلاً، كانت الدراسات الكمية التجريبية تهيمن لفترة طويلة على حقل فاعلية التدخلات النفسية، وبينما أفادت هذه الدراسات كثيراً في إثبات فاعلية التدخلات في بيئات معملية محكومة(Efficacy) ، إلا أنها أخفقت في تقديم صورة كاملة عن فاعليتها في الممارسة الميدانية الحقيقية (Effectiveness) وهنا كانت الفجوة المنهجية تكمن في شُح الدراسات المنهجية النوعية والطبيعية (Naturalistic Studies) التي تتابع تأثير التدخلات في بيئات العمل الحقيقية، وقد أفرزت هذه الفجوة المنهجية اتجاهاً بحثياً مهماً يُعرف بـ"بحوث الفاعلية الميدانية " (Effectiveness Research)، والذي أغنى مجال علم النفس العيادي كثيراً(Kazdin, 2017) .

كذلك، كان مجال علم النفس الإيجابي يعاني تاريخياً من فجوة منهجية تمثلت في الاعتماد الزائد على تقارير الحالة الذاتية (Self-reports) في قياس المتغيرات الإيجابية كالسعادة والرفاهية والمعنى، دون الاستعانة بمقاييس موضوعية أو سلوكية موازية، ولمعالجة هذه الفجوة سعى الباحثون إلى دمج أساليب متعددة في أبحاثهم، كالمقاييس الفيزيولوجية ومقاييس الأداء السلوكي والمقابلات المعمّقة، بجانب التقارير الذاتية(Seligman & Csikszentmihalyi, 2000) .

ولمعالجة الفجوات المنهجية بشكل عام، ينبغي للباحث أولاً أن يُدرك طبيعة القصور المنهجي القائم ومصادره، ثم يسعى إلى إما تطوير أدوات قياس جديدة، أو تكييف أدوات قائمة لتُلائم خصوصية المجال أو السياق الجديد، أو دمج مناهج متعددة في إطار منهج مختلط (Mixed Methods) يُجمع بين مزايا المناهج الكمية والنوعية (Creswell & Plano Clark, 2018).

ج. الفجوات التجريبية(Empirical Gaps) : تُشير الفجوات التجريبية إلى غياب البيانات والأدلة التجريبية اللازمة لفهم ظاهرة ما أو تفسيرها بشكل كامل، فقد تكون الأطر النظرية متوفرة، والمناهج البحثية مناسبة، لكن البيانات التجريبية الكافية تظل شحيحة، إما لصعوبة جمعها أو لعدم وجود اهتمام بحثي كافٍ بها في المراحل السابقة (Bryman, 2016).

ومن الأمثلة البارزة على الفجوات التجريبية في علم النفس، شُح الدراسات الطولية (Longitudinal Studies) التي تتابع التطور النفسي للأفراد عبر مراحل حياتية طويلة، فكثير من النظريات النفسية التطورية والتنموية تحتاج إلى بيانات طولية تمتد لعقود لاختبارها بشكل حقيقي، غير أن تكاليف مثل هذه الدراسات وصعوباتها اللوجستية جعلت البيانات الطولية شحيحة في كثير من المجالات النفسية(Kazdin, 2017) . وقد لاحظ الباحثون هذه الفجوة وسعوا إلى معالجتها من خلال الدراسات الطولية الكبرى، كدراسة كوهورت كامبردج (Cambridge Study in Delinquent Development)في مجال علم النفس الجنائي.

وتُمثل شُح بيانات عن الفئات السكانية المُهمَّشة والأقليات الثقافية فجوة تجريبية موثّقة في علم النفس. فتاريخياً، اعتمد علم النفس الغربي اعتماداً كبيراً على عينات من الطلاب الجامعيين في الجامعات الغربية، وهي عينات تُمثل ما يُعرف بـ(Western, Educated, Industrialized, Rich, Democratic)"WEIRD Samples"، مما يعني أن كثيراً من النتائج التجريبية المتوفرة لا تعكس الواقع النفسي لغالبية سكان العالم(Henrich et al., 2010) . وهذا يُعدّ فجوة تجريبية ضخمة تُلقي بظلالها على صحة التعميمات التي يُقدّمها علم النفس الغربي وشموليتها.

د. الفجوات المفاهيمية(Conceptual Gaps) : تنشأ الفجوات المفاهيمية من عدم الوضوح أو الاتساق في تعريف المفاهيم الأساسية في مجال ما، أو من تباين توظيف هذه المفاهيم في الدراسات المختلفة بشكل يُعيق المقارنة والتراكم المعرفي. وهذا النوع من الفجوات أكثر دقة وأصعب رصداً من سابقيه، لكنه لا يقل عنهما أهمية(Neuman, 2014) .

ففي علم النفس، يُعاني مفهوم "الرفاهية النفسية (Psychological Well-being) "من تشتت مفاهيمي واضح؛ إذ يُعرّفه بعضهم بمصطلحات ذاتية كالسعادة والرضا عن الحياة، في حين يُركز آخرون على مكونات موضوعية كالأداء

الوظيفي وتحقيق الذات والاندماج الاجتماعي. وهذا التباين في التعريفات يُنتج دراسات تستخدم أدوات قياس مختلفة وتتوصل إلى نتائج يصعب المقارنة بينها(Ryff, 1989) . ومعالجة هذه الفجوة المفاهيمية تستلزم جهوداً منسّقة بين الباحثين للتوافق على تعريفات عاملية واضحة، وتطوير أدوات قياس موحّدة تعكس هذه التعريفات ، ومثال آخر على الفجوة المفاهيمية يجده الباحث في مفهوم "الصمود النفسي" أو "الجلد(Resilience) ".

فعلى مدى العقود الماضية، تراوحت تعريفات هذا المفهوم بين كونه سمة شخصية ثابتة، وكونه عملية ديناميكية متغيرة، وكونه نتيجة أو مآلاً يُقيَّم في ضوء معايير خارجية ، وهذا الغموض المفاهيمي أفضى إلى صعوبة بالغة في المقارنة بين الدراسات والتراكم المعرفي في هذا المجال المهم(Luthar et al., 2000) . وقد بذل عدد من العلماء جهوداً جبارة لمعالجة هذه الفجوة المفاهيمية من خلال مقالات نظرية نقدية ومبادرات بناء التوافق الأكاديمي.

ه. الفجوات الزمنية(Temporal Gaps) : تُشير الفجوات الزمنية إلى النقص في الأبحاث التي تتناول تطور ظاهرة ما عبر فترات زمنية معينة، أو إلى الانقطاع في متابعة الظاهرة على مدى الزمن بشكل يُعيق فهم تطورها وديناميكيتها ، وهذا النوع من الفجوات له أهمية خاصة في علم النفس التنموي وعلم النفس الاجتماعي والعيادي، حيث كثيراً ما يكون التطور الزمني للظواهر النفسية محوراً أساسياً في فهمها وتفسيرها(Bryman, 2016) .

ومن أبرز الأمثلة على الفجوات الزمنية في علم النفس، ندرة الدراسات التي تتناول التأثيرات النفسية طويلة الأمد للتجارب الصادمة، فكثير من الدراسات في هذا المجال تُركز على الآثار الفورية والقصيرة المدى للصدمة النفسية، في حين تبقى المعرفة شحيحة عن مسارات التعافي الطويلة الأمد ومتغيراتها المؤثرة (van der Kolk, 2014) وقد ألقت هذه الفجوة بظلالها على جودة البروتوكولات العلاجية للاضطرابات الصدمية، مما جعلها أحد أبرز محاور الاهتمام البحثي في العقود الأخيرة ، كذلك تظهر فجوة زمنية واضحة في الأبحاث المتعلقة بالآثار النفسية طويلة المدى لوسائل التواصل الاجتماعي على المراهقين. فرغم التنامي الهائل في استخدام هذه الوسائل على مدى العقدين الماضيين، إلا أن الدراسات الطولية التي تتابع تأثيراتها على مدى سنوات أو عقود تظل نادرة نسبياً، وهذه الفجوة الزمنية تُصعّب إصدار أحكام قاطعة حول العلاقة السببية بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتغيرات النفسية الموثّقة كالقلق والاكتئاب لدى المراهقين(Twenge et al., 2018) .

و. الفجوات المكانية(Spatial Gaps) : تُشير الفجوات المكانية إلى غياب الأبحاث في مناطق جغرافية بعينها، مما يُفضي إلى محدودية في إمكانية تعميم النتائج العلمية على مستوى جغرافي أوسع ، وقد سبق الإشارة إلى مشكلة الاعتماد على عينات من المجتمعات الغربية في الأبحاث النفسية، وهي في جوهرها فجوة مكانية تُضيّق نطاق العلم النفسي وتحدّ من شموليته ، غير أن الفجوات المكانية تمتد لتشمل مناطق جغرافية أو بيئية بعينها حتى داخل المجتمعات الواحدة (Triandis, 1995).

وفي السياق العربي والعراقي تحديداً، تُلاحَظ فجوات مكانية واسعة في الأبحاث النفسية ، فمعظم الدراسات النفسية المتوفرة في قواعد البيانات الدولية مُجراة في سياقات غربية، مما يعني أن الفهم الكامل لكثير من الظواهر النفسية في السياق العربي يظل منقوصاً وغير متحقق. فمثلاً، الأدوات التشخيصية والقياسية المستخدمة في تقييم الصحة النفسية طُوِّرت أساساً في سياقات لغوية وثقافية مغايرة، وتطبيقها في السياق العربي دون مراعاة الفروق الثقافية يُفضي إلى فجوات تجريبية ومفاهيمية إضافية (عبد الرحمن، 2015).

كذلك، تُوجد فجوات مكانية في الأبحاث المتعلقة بالصحة النفسية في البيئات الريفية مقارنة بالحضرية، وفي المجتمعات المتأثرة بالنزاعات والحروب مقارنة بالمجتمعات المستقرة. وفي العراق بشكل خاص، وبسبب ما مرّ به من ظروف استثنائية على مدى العقود الماضية، تظل الأبحاث النفسية التي تتناول تأثير هذه الظروف على الصحة النفسية للمجتمع غير كافية وغير مُوفية بالحاجة (الحموي، 2018). وهذه فجوة مكانية ذات دلالة بالغة تستحق اهتماماً بحثياً جاداً ومنظماً.

ح. فجوات الأدبيات(Literature Gaps) : وهي الفجوات الناجمة عن عدم معالجة الثغرات المعرفية القائمة في الأدبيات العلمية السابقة أو البناء عليها بشكل كافٍ في الدراسات اللاحقة، وكثيراً ما يحدث أن يتراكم في مجال ما عدد

كبير من الدراسات دون أن يكون هذا التراكم منظماً أو تراكمياً بالمعنى الحقيقي، فيُصبح كلٌّ منها جزيرة معرفية معزولة لا تُحاور ما سبقها بشكل كافٍ(Hart, 2018) .

ولمعالجة هذا النوع من الفجوات تستلزم أولاً الوعي به والاعتراف بوجوده، ثم العمل على إجراء مراجعات أدبيات منهجية شاملة تُعيد رسم خريطة المعرفة في المجال وتُحدد الخيوط الرابطة بين الدراسات ، كما تستلزم حرص الباحثين على التحاور المنهجي مع الأدبيات السابقة في دراساتهم، لا مجرد الاستشهاد بها، بل نقدها وتقييمها وبيان كيف تنسجم نتائجهم معها أو تختلف عنها أو تُضيف إليها(Neuman, 2014) .

سادساً: التحديات التي تواجه الباحثين في تحديد الفجوات البحثية :

أ. الكم الهائل للأدبيات العلمية: يُعدّ التضخم الكبير في الأدبيات العلمية من أبرز التحديات التي تُواجه الباحثين المعاصرين في مسعاهم لتحديد الفجوات البحثية ، فقد أشارت إحصاءات حديثة إلى أن عدد الأوراق البحثية المنشورة سنوياً في شتى المجالات العلمية يُقاس بالملايين، مما يجعل مهمة الإلمام بكل ما نُشر في مجال ما شبه مستحيلة لأي باحث منفرد. وقد أفضى هذا التضخم إلى نشأة ظاهرة "الغرق المعلوماتي (Information Overload) "التي تُشكّل تحدياً حقيقياً أمام قدرة الباحثين على تحديد الفجوات المعرفية بدقة وشمولية(Hart, 2018) .

ولمواجهة هذا التحدي فقد طوّر الباحثون جملة من الاستراتيجيات، أبرزها الاعتماد على المراجعات المنهجية الحديثة والتحليلات الكمية المضاعفة كنقاط انطلاق لفهم حالة المعرفة في مجال ما، بدلاً من قراءة كل الأدبيات الأولية، كما تُسهم أدوات الذكاء الاصطناعي الحديثة في تسهيل عملية مسح الأدبيات وتصنيفها واستخلاص الأنماط منها، مما يُخفف من وطأة الغرق المعلوماتي(Bryman, 2016) .

ب. الانحياز في الأدبيات المنشورة : يُمثل انحياز النشر (Publication Bias) تحدياً منهجياً جوهرياً يُعيق الرصد الدقيق للفجوات البحثية. فمن المعروف أن الدوريات العلمية تميل إلى نشر الدراسات التي تتوصل إلى نتائج إيجابية وذات دلالة إحصائية، في حين تميل إلى تجاهل الدراسات التي تُسفر عن نتائج سلبية أو غير دالة. ومن ثمّ، فإن ما يراه الباحث حين يراجع الأدبيات لا يُمثل صورة حقيقية ومكتملة لكل ما أُنجز من بحث في مجال ما، بل هو صورة مُشوَّهة تضخّم الإيجابيات وتُخفي السلبيات.(Borenstein et al., 2009)

ويمكن معالجة هذا التحدي تستلزم وعياً نقدياً بظاهرة انحياز النشر وآثارها على صورة الأدبيات، والحرص على الاطلاع ليس فقط على ما نُشر في الدوريات المحكّمة، بل أيضاً على التقارير الفنية والرسائل الجامعية وقواعد بيانات الدراسات غير المنشورة كـ "PROSPERO"و "ClinicalTrials.gov"التي قد تُقدم صورة أكثر توازناً وتمثيلاً للمعرفة المتوفرة.

ج.الاختلافات الثقافية والسياقية: يُشكّل التنوع الثقافي والسياقي تحدياً مضاعفاً في تحديد الفجوات البحثية، لا سيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية ، فما يُعدّ فجوة بحثية في سياق ثقافي ما قد يكون مُعالَجاً بشكل كافٍ في سياق آخر، والعكس صحيح، وهذا يعني أن الباحث العربي لا يستطيع الاعتماد الكلي على ما تُحدده الأدبيات الغربية من فجوات، بل يجب عليه تقييم هذه الفجوات في ضوء سياقه الثقافي والمجتمعي الخاص (الحموي، 2018).

وتُبرز الأدبيات أهمية ما يُعرف بـ"إعادة التحليل الثقافي" للنظريات والنتائج الغربية في السياق العربي، إذ يستلزم ذلك أولاً مراجعة مدى انطباق هذه النظريات على السياق الثقافي الجديد، ثم تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف، وأخيراً تطوير نماذج أو أطر نظرية محلية تُعالج الفجوات التي يُفرزها الاختلاف الثقافي (عبد الرحمن، 2015).

سابعاً: علاقة الفجوة البحثية بالمكونات الأساسية للبحث العلمي :

أ. الفجوة البحثية وصياغة أسئلة البحث : إن العلاقة بين الفجوة البحثية وصياغة أسئلة البحث علاقة عضوية وثيقة؛ فالفجوة البحثية هي في جوهرها السؤال الكبير الذي ينتظر الإجابة، وصياغة أسئلة البحث الجزئية ليست سوى تفصيل هذا السؤال الكبير إلى أجزاء قابلة للدراسة والاختبار، ويرى كريسويل (Creswell, 2014) ، أن الأسئلة البحثية الجيدة تنبثق دائماً من فجوات معرفية حقيقية، وأن وضوح الفجوة يُعين الباحث على صياغة أسئلة بحثية محددة وذات معنى.

وعملياً، يُفيد تحديد الفجوة البحثية في توجيه الباحث نحو صياغة أسئلة بحثية واضحة المتغيرات، محددة النطاق، قابلة للاختبار التجريبي أو التحليل المنهجي، فبدلاً من أن يسأل الباحث بشكل مبهم "ما تأثير التوتر على الأداء؟"، يُمكّنه تحديد الفجوة البحثية من صياغة سؤال أكثر دقة كـ"ما تأثير التوتر المزمن المرتبط بالعمل على الوظائف التنفيذية لدى معلمي المرحلة الابتدائية في السياق العراقي؟"، وهذه الدقة في الصياغة هي بالضبط ما يُميز البحث العلمي الرصين عن الاستفسار العام غير المنظّم.(Neuman, 2014)

ب. الفجوة البحثية وفرضيات البحث : تؤدي الفجوة البحثية دوراً محورياً في توجيه عملية صياغة الفرضيات البحثية. فالفرضية ليست مجرد تخمين عشوائي، بل هي تنبؤ مستنير مبني على قراءة عميقة للأدبيات وفهم دقيق للفجوة المعرفية القائمة ، فحين يحدد الباحث فجوة معرفية متمثلة في غياب الأدلة على علاقة بين متغيرين معينين، تنشأ الفرضية كتنبؤ بطبيعة هذه العلاقة المُفترضة استناداً إلى ما هو متوفر من معرفة في المجالات المجاورة أو من خلال الإسقاطات النظرية المنطقية.(Creswell & Creswell, 2018)

وفي هذا الإطار، تُساعد الفجوة البحثية الباحث على صياغة فرضيات محددة الاتجاه (Directional Hypotheses) أو غير محددة الاتجاه (Non-directional Hypotheses) وفقاً لطبيعة المعرفة المتوفرة حول الفجوة.

ففي حالة وجود أدلة كافية توحي بطبيعة العلاقة المتوقعة لكن دون اختبار تجريبي مباشر، يُصاغ الفرض الاتجاهي الذي يُتنبأ فيه بطبيعة العلاقة وشكلها. أما في حالة الغياب الكلي للأدلة، فيُصاغ الفرض غير الاتجاهي الذي يكتفي بافتراض وجود علاقة دون تحديد طبيعتها.(Kazdin, 2017)

ج. الفجوة البحثية واختيار المنهج البحثي : لا يقتصر تأثير الفجوة البحثية على صياغة الأسئلة والفرضيات، بل يمتد ليشمل قرار اختيار المنهج البحثي الأنسب، فطبيعة الفجوة المعرفية القائمة كثيراً ما تُملي نوع المنهج الذي يُتيح سدّها بشكل فاعل. فالفجوات التجريبية في مجال يفتقر إلى بيانات كمية كافية تستدعي مناهج كمية تجريبية أو وصفية تسعى إلى توليد هذه البيانات ، أما الفجوات المفاهيمية والنظرية التي تعكس غموضاً في فهم تجارب وخبرات الأفراد فتستدعي في الغالب مناهج نوعية كالظاهراتية والنظرية المجذّرة ، وأما الفجوات التي تجمع بين بُعدين كمي ونوعي فتُحتاج معها المناهج المختلطة.(Creswell & Plano Clark, 2018)

ثامناً: الفجوة البحثية في السياق الأكاديمي العراقي والعربي :

أ. واقع الفجوات البحثية في علم النفس العربي : يعيش علم النفس العربي واقعاً بحثياً يتسم من جهة بتنامٍ ملحوظ في الاهتمام الأكاديمي والمؤسسي، ومن جهة أخرى بوجود فجوات بحثية واسعة تعكس الخصوصية الثقافية والاجتماعية للسياق العربي مقارنة بما هو متوفر في الأدبيات الغربية، ومن أبرز هذه الفجوات: شُح الدراسات التي تتناول الصحة النفسية في البيئات العربية بأدوات قياس مطوَّرة ومقنّنة ثقافياً، وندرة الدراسات الطولية التي تتابع التطور النفسي في السياق العربي عبر مراحل الحياة المختلفة، وضعف الأبحاث المتعلقة بفاعلية التدخلات النفسية في هذا السياق (الحموي، 2018).

وفي سياق جامعة بغداد تحديداً وجامعات العراق عموماً، يواجه الباحثون في علم النفس تحديات إضافية في تحديد الفجوات البحثية ومعالجتها، تشمل: محدودية الوصول إلى قواعد البيانات العلمية الدولية المدفوعة، وشُح التمويل البحثي المخصص للدراسات النفسية التجريبية، وضعف الشبكات البحثية والتعاون الأكاديمي الدولي. وكل هذه التحديات تتضافر لتُفضي إلى تعميق الفجوات البحثية في المجال، مما يجعل العمل على تجسير هذه الفجوات أكثر إلحاحاً وأشد ضرورة (عبد الرحمن، 2015).

ب. نحو ثقافة بحثية تُعلي من شأن الفجوة البحثية: إن من أهم ما تحتاجه البيئة الأكاديمية العربية هو تطوير ثقافة بحثية ناضجة تُعلي من شأن الفجوة البحثية وتجعلها محوراً حقيقياً في تصميم الأبحاث وتقييمها. فبدلاً من النظر إلى البحث العلمي باعتباره مجرد استكمال لمتطلبات أكاديمية، ينبغي تعزيز النظرة إليه باعتباره مساهمة حقيقية في تطوير المعرفة وسدّ الفجوات المعرفية الحقيقية، وهذا يستلزم العمل على عدة مستويات متكاملة. فعلى مستوى مناهج الدراسة، ينبغي تضمين مقررات المنهجية البحثية في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا وحدات خاصة بمفهوم الفجوة البحثية وكيفية تحديدها والتعامل معها، وعلى مستوى التوجيه الأكاديمي، ينبغي أن يُعلي المشرفون على رسائل الدراسات العليا من شأن تحديد الفجوة البحثية ويجعلوه شرطاً أساسياً لا يقبل التساهل، وعلى مستوى معايير النشر،

ينبغي أن تشترط المجلات الأكاديمية العربية المحكّمة على ناشريها إيضاح الفجوة البحثية التي تعالجها دراساتهم بشكل صريح ومقنع (عبد الرحمن، 2015).

تاسعاً: الفجوة البحثية والتطور العلمي ـ قراءة فلسفية :

أ. الفجوة البحثية ومفهوم كوهن عن تحولات النماذج : يُقدّم توماس كوهن Tomass Kuhn في كتابه الشهير "بنية الثورات العلمية" (1962) رؤية فلسفية عميقة تُضيء العلاقة بين الفجوات المعرفية والتطور العلمي. فكوهن يرى أن العلم لا يسير في خط تقدمي متواصل ومتدرج فحسب، بل يشهد بين الحين والآخر "ثورات علمية" أو "تحولات نموذجية (Paradigm Shifts) "تُقلب الأُطر المرجعية السائدة رأساً على عقب، وما يدفع إلى هذه الثورات ليس سوى تراكم الفجوات والشذوذات (Anomalies) التي يعجز النموذج السائد عن تفسيرها.(Kuhn, 1962)

وبهذا المعنى، فإن الفجوات البحثية ليست مجرد نقائص عارضة في المعرفة، بل هي إشارات إلى حدود النماذج الفكرية السائدة وبدايات التحولات المعرفية الكبرى ، فحين تتراكم الفجوات في ظل نموذج ما ويعجز عن تفسيرها، يُصبح المجال ناضجاً لثورة علمية تُنتج نموذجاً جديداً يستوعب ما عجز القديم عن استيعابه. وهذه الرؤية تُؤكد أن الوعي بالفجوات البحثية ليس مجرد ضرورة منهجية، بل هو في أعمق دلالاته مشاركة في مسيرة العلم وتطوره الكبرى، وقد طُبّقت هذه الرؤية الكوهنية على تاريخ علم النفس، حيث يُمكن تفسير الثورة المعرفية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي وتحوّل التركيز من السلوكية إلى المعرفية باعتبارها نموذجاً كلاسيكياً لتحول نموذجي نشأ من تراكم الفجوات البحثية في ظل النموذج السلوكي.(Miller, 2003)

ب. الفجوة البحثية والمسؤولية الأخلاقية للباحث : لا تقتصر أهمية الفجوة البحثية على الأبعاد المعرفية والمنهجية، بل تمتد لتُلقي ضوءاً على المسؤولية الأخلاقية للباحث تجاه مجتمعه وعلمه ، فالباحث الذي يُدرك وجود فجوة معرفية في مجال يؤثر على رفاهية الناس وسلامتهم النفسية والاجتماعية يجد نفسه أمام مسؤولية أخلاقية لا يمكن التهرب منها، فالصمت عن الفجوات البحثية المؤثرة في قضايا الصحة النفسية والاجتماعية ليس موقفاً محايداً، بل هو في حقيقته موقف يُؤبّد النقص المعرفي ويُعيق تطوير الرعاية والخدمات(Kazdin, 2017) .

وفي السياق العراقي، تتجلى هذه المسؤولية الأخلاقية بوضوح. فثمة فجوات بحثية واضحة في مجال صحة الناجين من صدمات الحرب والنزاع، وفي مجال الأثر النفسي للتهجير على الأسر، وفي مجال الصحة النفسية للأطفال الذين نشأوا في ظروف استثنائية ، وسدّ هذه الفجوات ليس واجباً علمياً فحسب، بل هو واجب إنساني وأخلاقي ملحّ يقع على عاتق الباحثين العراقيين بشكل خاص، لأنهم الأقدر على الإحاطة بخصوصية هذه التجارب والتعامل معها بالحساسية والعمق المطلوبين (الحموي، 2018).

عاشرا : الأستنتاجات المستخلصة من البحث : يمكن أستنتاج جملة من النقاط الجوهرية التي تُلخّص المحاور التي تناولها ، فقد تناولنا مفهوم الفجوة البحثية من جوانبه المتعددة، وأثبتنا أنها تُمثل في حقيقتها نقطة الانطلاق الحقيقية لأي بحث علمي رصين، لا بالمعنى الإجرائي الضيق فحسب، بل بالمعنى الفلسفي والمعرفي العميق.

لقد أوضح البحث أن الفجوة البحثية تتعدد أنواعها لتشمل الفجوات النظرية والمنهجية والتجريبية والمفاهيمية والزمنية والمكانية وفجوات الأدبيات، وأن كل نوع منها يستدعي أساليب مختلفة ومناهج ملائمة للتعامل معه. كما أوضح البحث أن أهمية الفجوة البحثية لا تقتصر على توجيه البحث وإثراء المعرفة، بل تمتد لتشمل أبعاداً مؤسسية كاستقطاب التمويل وتعزيز مصداقية النتائج، وأبعاداً أخلاقية كتحمل المسؤولية تجاه المجتمع والإنسانية.

وفيما يخص السياق العراقي والعربي، أشار البحث إلى جملة من الفجوات البحثية الراهنة والملحّة في مجال علم النفس، مؤكداً أهمية تطوير ثقافة بحثية ناضجة تُعلي من شأن الفجوة البحثية وتجعلها ركيزة حقيقية في تصميم الأبحاث وتقييمها.

إن الباحث العلمي الجيد هو من يمتلك القدرة على الشعور بما يغيب عن العلم أكثر مما يمتلك معلومات عن ما هو حاضر فيه. فالعلم كائن حيٌّ ينمو بفضل إدراك الفجوات لا بفضل تكرار ما هو معروف. ولذلك، فإن تعليم الباحثين كيف يُحسّون بالفجوات ويُحدّدونها ويُعالجونها هو بحق من أعمق وظائف الجامعة ومن أرفع غايات التعليم العالي.

وقد آن لنا في مؤسساتنا الأكاديمية العراقية والعربية أن نرتقي بمفهوم البحث العلمي من كونه متطلباً وظيفياً أو شرطاً للترقية إلى كونه مشروعاً حضارياً حقيقياً يُسهم في بناء المعرفة الإنسانية وتطوير المجتمع. وهذا الارتقاء لن

يتحقق إلا إذا أدرك الباحثون والمؤسسات الأكاديمية أن الفجوة البحثية هي البوصلة التي توجّه هذا المشروع وتُحدد قيمته وجدارته.

أحدى عشر: توصيات عملية للباحثين في تحديد الفجوات البحثية ومعالجتها :

أ. توصيات على مستوى التدريب الأكاديمي : بناءً على ما تقدم من مناقشة وتحليل، يُمكن تقديم جملة من التوصيات العملية للباحثين في مجالي علم النفس والعلوم الاجتماعية، وكذلك للمؤسسات الأكاديمية التي تُشرف على تأهيلهم :

1. إدراج مقررات متخصصة في تحديد الفجوات البحثية وأنواعها وأساليب معالجتها ضمن برامج الدراسات العليا، مع تضمين هذه المقررات تطبيقات عملية على مجالات علم النفس والعلوم الاجتماعية .
2. توفير ورش عمل منتظمة للباحثين حول مهارات مراجعة الأدبيات المنهجية، باعتبارها الأداة الأساسية لتحديد الفجوات البحثية.
3. تشجيع الطلبة على التسجيل في قواعد البيانات العلمية الدولية والتعامل المنتظم مع الأدبيات الأجنبية، إلى جانب الأدبيات العربية (عبد الرحمن، 2015).

ب. توصيات على مستوى التصميم البحثي : يُوصى الباحثون بتخصيص قدر كافٍ من الوقت والجهد في مرحلة ما قبل التصميم لمراجعة الأدبيات وتحديد الفجوة البحثية بدقة، قبل الشروع في تصميم الدراسة واختيار المنهج وأدوات القياس، كذلك يُوصى بالحرص على ربط التصميم البحثي بنوع الفجوة المحددة؛ فالفجوة المنهجية تستدعي تصميماً مختلفاً عن الفجوة التجريبية أو المفاهيمية. ومن الأهمية بمكان التمييز الدقيق بين الفجوة الحقيقية في المعرفة والمجرد اهتمام شخصي بموضوع ما، والتأكد من أن الفجوة المُحددة ذات قيمة علمية وعملية فعلية (Creswell & Creswell, 2018).

ج. توصيات على مستوى النشر والتواصل العلمي : يُوصى الباحثون بإيلاء عناية خاصة لكيفية تأطير الفجوة البحثية في مقدمة أوراقهم البحثية، وتقديمها بوضوح ودقة ومقنعية للقارئ والمحكّم ، ويُوصى أيضاً بالمشاركة الفاعلة في المؤتمرات العلمية المتخصصة كوسيلة للاطلاع على الفجوات البحثية الراهنة التي تشغل بال مجتمع الباحثين في المجال، وللتواصل مع الباحثين الآخرين حول الفجوات المشتركة. كما يُوصى بالسعي إلى نشر مراجعات الأدبيات النقدية، إذ تُعدّ هذه المراجعات من أكثر الإسهامات قيمةً في تحديد الفجوات البحثية وتوجيه جهود المجتمع البحثي نحو معالجتها(Hart, 2018) .

المصادر والمراجع :

أولاً: المراجع العربية :

1. أبو علام، رجاء محمود. (2016): **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية** (الطبعة السابعة). دار النشر للجامعات.
2. بدوي، أحمد زكي. (2016): **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: إنجليزي عربي** ، (الطبعة الخامسة). مكتبة لبنان.
3. جابر، جابر عبد الحميد، وكاظم، أحمد خيري. (2016): **مناهج البحث في التربية وعلم النفس** ، (الطبعة الرابعة). دار النهضة العربية.
4. الحموي، محمد سامي. (2018): **مناهج البحث في علم النفس والعلوم الاجتماعية: أسس نظرية وتطبيقات عملية**، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر.
5. ذياب، صالح أحمد. (2019): تحديد الفجوة البحثية في الدراسات النفسية: قراءة منهجية نقدية، **مجلة العلوم الاجتماعية**، جامعة الكويت، *47*(2)، 15-52.
6. الرفاعي، نعيم. (2014): **الصحة النفسية: دراسة في سيكولوجية التكيف** (الطبعة العاشرة). منشورات جامعة دمشق.

7. الزيات، فتحي مصطفى. (2014): **علم النفس المعرفي: رؤية معرفية معلوماتية** ، (الطبعة الثالثة). دار النشر للجامعات.
8. الزيود، ماجد محمد، والأحمد، محمد كامل. (2017): **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية والتطبيقية** (الطبعة الثالثة)، مكتبة الرشد.
9. عبد الرحمن، محمد السيد. (2015): **مناهج البحث في علم النفس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
10. العمر، بدر عمر. (2018): إشكاليات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي: الواقع والآفاق ، **المجلة العربية للعلوم الاجتماعية**، *14*(3)، 1-30.
11. عودة، أحمد سليمان، والملكاوي، فتحي حسن. (2017): **أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية: عناصره ومناهجه وأساليبه الإحصائية** (الطبعة الثامنة). مكتبة الكندي.
12. العيسوي، عبد الرحمن محمد. (2014): **البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: مناهجه وأساليبه الإحصائية**، دار المعرفة الجامعية.
13. غانم، حسن عبد الحميد. (2016): علم النفس الإيجابي والرفاهية النفسية في الثقافة العربية. **مجلة الإرشاد النفسي**، جامعة عين شمس، *44*(1)، 1-38.
14. القريطي، عبد المطلب أمين. (2015): **في علم النفس الاجتماعي** (الطبعة الخامسة). دار الفكر العربي.
15. ملحم، سامي محمد. (2015): **مناهج البحث في التربية وعلم النفس** ، (الطبعة السادسة). دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

ثانياً: المراجع الأجنبية :

16 . American Psychological Association. (2020): **Publication manual of the American Psychological Association** (7th ed.). American Psychological Association. https://doi.org/10.1037/0000165-000
17. Borenstein, M., Hedges, L. V., Higgins, J. P. T., & Rothstein, H. R. (2009): **Introduction to meta-analysis** . John Wiley & Sons. https://doi.org/10.1002/9780470743386
18. Bryman, A. (2016): **Social research methods** , (5th ed.). Oxford University Press.
19.Chalmers, D. J. (1996) : **The conscious mind: In search of a fundamental theory**. Oxford University Press.
20. Creswell, J. W. (2014): **Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches** (4th ed.). SAGE Publications.
21. Creswell, J. W., & Creswell, J. D. (2018): **Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches** (5th ed.). SAGE Publications.
22. Creswell, J. W., & Plano Clark, V. L. (2018): **Designing and conducting mixed methods research** (3rd ed.). SAGE Publications.
23. Gay, P. (2006**): Freud: A life for our time**. W. W. Norton & Company.
24. Hart, C. (2018): **Doing a literature review: Releasing the research imagination** , (2nd ed.). SAGE Publications.
25. Henrich, J., Heine, S. J., & Norenzayan, A. (2010):**The weirdest people in the world? Behavioral and Brain Sciences** , *33*(2-3), 61-83. https://doi.org/10.1017/S0140525X0999152X
26. Kazdin, A. E. (2017): **Research design in clinical psychology**, (5th ed.). Pearson Education.

27. Kuhn, T. S. (1962): **The structure of scientific revolutions**. University of Chicago Press.
28. Locke, L. F., Spirduso, W. W., & Silverman, S. J. (2014): **Proposals that work: A guide for planning dissertations and grant proposals**, (6th ed.). SAGE Publications.
29. Luthar, S. S., Cicchetti, D., & Becker, B. (2000): The construct of resilience: A critical evaluation and guidelines for future work. **Child Development** , *71*(3), 543-562. https://doi.org/10.1111/1467-8624.00164
30. McCrae, R. R., & Costa, P. T. (2003): **Personality in adulthood: A five-factor theory perspective**, (2nd ed.). Guilford Press.
31.Miller, G. A. (2003). The cognitive revolution: A historical perspective. **Trends in Cognitive Sciences**, *7*(3), 141-144. https://doi.org/10.
32. Neuman, W. L. (2014): **Social research methods: Qualitative and quantitative approaches**, (7th ed.). Pearson Education.
33. Patton, M. Q. (2015): **Qualitative research and evaluation methods: Integrating theory and practice**, (4th ed.). SAGE Publications.
34. Ryff, C. D. (1989). Happiness is everything, or is it? Explorations on the meaning of psychological well-being ,**Journal of Personality and Social Psychology** , *57*(6), 1069-1081. https://doi.org/10.1037/0022-3514.57.6.1069
35.Seligman, M. E. P., & Csikszentmihalyi, M. (2000): Positive psychology: An introduction. **American Psychologist**, *55*(1), 5-14. https://doi.org/10.1037/0003-066X.55.1.5
Shapiro, F. (2018). *Eye movement desensitization and reprocessing (EMDR) therapy: Basic principles, protocols, and procedures* (3rd ed.). Guilford Press.
Triandis, H. C. (1995). *Individualism and collectivism*. Westview Press.
Twenge, J. M., Martin, G. N., & Campbell, W. K. (2018). Decreases in psychological well-being among American adolescents after 2012 and links to screen time during the rise of smartphone technology. *Emotion*, *18*(6), 765-780. https://doi.org/10.1037/emo0000403
van der Kolk, B. A. (2014). *The body keeps the score: Brain, mind, and body in the healing of trauma*. Viking Press.